

الفصل الثاني

الاجتماعات العامة للنمو الحركي في الطفولة المبكرة

للمواليد الجديدة عامة حساسية عالية للتغيرات التي تطرأ على الوضع المكاني لأجسامهم ، فلو أن الرضيع حمل ورأسه الى اعلى ، أو سقط بعد ان كان في وضع الجلوس ، أو هززنه كثيرا لوجدناه يقوم بتعديل عام لوضعه . كذلك يقوم المواليد الجدد بحركات « خطو » تبادلية اذا ثبتوا في وضع القائم بحيث تستقر اقدامهم على سطح مستو ، وهذه الاستجابات الهامة تكشف عن ان الرضيع يستجيب للتنبيه الصادر عن اعضاء الحس الموجودة في عضلاته ، وفي القنوات نصف الهلالية بالاذن (وهي الاعضاء المختصة بحفظ توازنه) (١) .

فالحركة مظهر قوى من مظاهر نمو الطفل ، وهي تستهلك الطاقة المخزونة في أنسجة الجسم وخاصة في العضلات ، كما ان الحركات العضلية نفسها تؤدي الى تعويض الطاقة المستنفذة ، والا تنقطع هذه العملية الدورية الا بموت الكائن الحي .

وتتضمن قدرات الوليد الحركية

(١) حركات اندفاعية عشوائية تنشأ من دوافع لا شعورية مثل الاضطرابات الخاصة ، والتشنجات وحركات بسط الاذراعين وطبها . وهذه الحركات لا تحقق اهدافا نوعية ، ولابد من جهد طويل من التنظيم والتمايز حتى يستطيع الوليد التحكم فيها وتوجيهها لتحقيق غاياته .

د / جابر عبد الحميد سنة ١٩٧٠ سيكلوجيه الطفولة والشخصية
دار النهضة العربية .

(ب) ردود افعال منعكسة تشمل حركات تلقائية للدفاع عن الجسم ، والقبض على الاشياء ، وهى تعمل بطريقة فوضوية ، ولكنها فى جملتها وسائل تلائم ناقصة ممكن تهذيبها بالممارسة والتدريب للتخلص من الزائدة منها حتى تقتصر الممارسة على جهد العضلات المناسب لكسب المهارة المطلوبة لاداء العمل .

(ج) ردود افعال فطرية تتضمن دوافع كامنة فى اعماق الفرد يحاول بها تحقيق ذاته . ولكن هذه الدوافع الكامنة لا يمكن ان تتحول من حالة الكمون الى حالة النشاط الا بفضل شرطين أساسيين : -

(أ) الفسوج الفسيولوجى للمراكز العصبية .

(ب) وجود مؤثرات بيئية تكون موضع اشباع هذه الدوافع .

ويمكن ان تكون الحركة نفسها فى شكلها الظاهري منعكسة او ارادية : فاذا وضعت اصبعى على سطح ساخن جدا ارتدت يدى بسرعة وتكون الحركة فى هذه الحالة منعكسة . ولكن يمكنى سحب يدى بمجرد لمس سطح معتدل الحرارة . وفى هذه الحالة تكون الحركة ارادية . وبذلك نجد ان الشكل الظاهري للحركتين واحدا ولكن الفرق بينهما يكمن فى اختلاف المراكز العصبية المحركة التى تنبعت : فالتنبه فى الحالة الاولى هو احساس بالحرارة ، اما الحالة الثانية أمر داخلى معنوى هو فكرة القيام بهذه الحركة . ويكفيانا ان نسجل ان للتصورات الذهنية ميلا داخليا الى أن تتحقق فى صورة الحركة التى يمتثلها الذهن . وهذا الميل يعرف بالقوة الفكرية المحركة .

ومراكز الافعال للمعكسة مرتبة ترقيبا تصاعديا فى النخاع الشوكى ، والنخاع المستطيل وبعض النوى الدفاعية الموجودة مباشرة تحت اللحاء ومن اهمها : التلاموس والجسم المخطط الذى هو مركز الافعال المنعكسة المتأزرة لحركات المشى الآلى (٢) .

(١) د . يوسف مراد - ١٩٧٠ - علم النفس العام - دار المعارف .

(٢) نفس المرجع .

أما الحركات الإرادية فلا تتم الا بتنشيط المراكز الموجودة في القشرة الدماغية أو اللحاء . وهذه المراكز تسيطر إلى حد كبير على المراكز السفلى وهذا ما يفسر لنا عملية المنع أو الكف .

وليسست جميع الأفعال المنعكسة مصحوبة بالشعور : مثل الحركات التي تعترى حدة العين عندما تتغير شدة الضوء ، أو تعترى العدسة البلورية عند نقل النظر من شيء قريب إلى شيء بعيد أو بالعكس . كذلك هناك بعض الأفعال المنعكسة التي لا تخضع للقوة الإرادية وتكون في العادة لا شعورية مثل حركة الأحشاء التابعة للجهاز السمبثاوى .

وعندما تتم عملية النضج الفسيولوجى يصبح الجهاز العصبى متكاملًا . وتتخلص صفة التكامل هذه في عملية التآزر والتضامن من جهة ، وفي عملية الانتماء من جهة أخرى ، أى خضوع بعض المراكز السفلى لسلطة المراكز العليا ، واسمى هذه المراكز اللحائية تلك التي تشرف على الحركات الإرادية . ولا تتسق هذه الحركات ولا تتآزر في الجهات التي تعينها التنبيهات ، سواء الخارجية منها أو الداخلية ، الا بفضل تكامل الجهاز العصبى .

والجدير بالذكر ان عملية التكامل تمر بمراحل معينة وتتم بدون أن يكون لعوامل التمرين والتدريب اثر يذكر فيها . فالكاثن الحى مزود بحكم تركيبه الفسيولوجى بمجموعة من الآليات تمكنه من أن يواجه مطالب بيئته الطبيعية بنجاح ، وسلوكه ازاء هذه المطالب هو سلوك غريزى . ولما كانت البيئة التي يعيش فيها الكائن بيئته مركبة ، متطورة ، ومتشعبة الانواع ، فلا يلبث الكائن ان يشعر بالحاجة الى التعليم والى أن يزيد الآليات الفطرية دروبا جديدة من الآليات ، هى الحركات التعويدية المكتسبة التي تقوم بالوظيفة نفسها التي تقوم بها الافعال الفريزية لدى الحيوانات السفلى (١) .

الاتجاهات العامة للنمو الحركى في الطفولة المبكرة :

تعبئ تطورات النمو الحسى الحركى التي تحدث خلال السنة الاولى من حياة الوليد اتجاهات عامة : -

(١) نفس المرجع السابق .

١ - الاتجاه الطولى والمستعرض الذى يتضح من حركات الرأس وتثبيت العينين والتأزر بين اليد والعين ، ويظهر مبكرا بصفة نسبية بينما المشى والوقوف يتأخر بعض الشيء .

كذلك تتمكن الاطراف والعضلات التابعة للجزء الاعلى من جسم الطفل من أداء وظائفها قبل ان تتمكن من ذلك الاطراف السفلى . وفى المشى نجد ان التأزر اللائق السليم بين الاذرع يسبق تأزر الساقين .

٢ - يتبع تقدم تطور استجابات الطفل الحركية خلال عامة الاول اتجاها من الداخل الى الخارج او من القريب الى البعيد ، اى من المركز الى منطقة الاطراف بحيث نجد عند اتجاه الطفل الى الاشياء للقبض عليها والامساك بها ان الكتفين والكوعين تستخدم من قبل ان يستخدم الطفل الرسغ والمعصم والاصابع .

كذلك تتم السيطرة على الجزء الاعلى من الذراع والجزء الاعلى من السيقان قبل السيطرة على الاجزاء السفلى من الذراعين والرقبة والايدي والاقدام .

٣ - ويتميز تقدم نمو الطفل الحركى بالاتجاه من العضلات الغليظة الى الدقيقة بمعنى ان الحركات الاجمالية التى تحدث عند قبض الطفل على الاشياء فى اول - مراحل نموه تحل محلها حركات اكثر دقة صادرة عن الابهام والسبابة . ويبدأ التوافق الحركى بين العضلات الكبرى ثم يستطرد منها الى العضلات الصغرى ، ولذلك تتميز كتابة الطفل ، فى بداية تعلمه ، بضخامة حروفها ثم تتطور مع تطور مراحل نمو الطفل الحركى حتى تصل الى الحروف الدقيقة .

٤ - ويسير تقدم النمو الحركى للصغير من الاتجاه العام الى الخاص . فنلاحظ ان تنقل الطفل يكون فى اول الامر مصحوبا بحركات جسمية زائدة عن الحاجة لا تلبث بعد ذلك . ان تتناقص بالتدريج حتى ينتهى الامر الى ان يقتصر النشاط الحركى على العضلات ، والاطراف المناسبة فقط ، ولهذا نلاحظ عادة ان الطفل يحرك قدميه وساقية ويخرج لسانه ، ويزم

شفتيه ، ويضغط باصابعه ، ويديه عندما يحاول ان يتعلم الكتابة لأول مرة في حياته ، ثم ينتهى به الامر الى اتقان هذه المهارة عندما ينضج التوافق الحركى القائم بين العين ومعصم اليد وساعدها واصابعها . وهكذا يتميز بدء تكوين المهارات الحركية عند الطفل ببذل طاقته زائدة عن الجهد اللازم لكسب المهارة . وقد يجد هذا الجهد منفذا له في اعضاء الجسم الاخرى فيؤدى الى توتر او الى حركة عضلات لا دخل لها بكسب المهارة .

ولهذا تهىء دور الحضانة الفرص المناسبة للطفل لينفق طاقته الزائدة في لعبه وعدوه ، قبل ان تلزمه بالهدوء والسكون ، ولنفس السبب تسبق مرحلة التعبير الحركى الحر ، مرحلة التعبير الحركى المقيد .

٥ - ويسير تقدم النمو الحركى للوليد من التجانس الى التباين . فالوليد مخلوق متجانس تجانسا ازواجيا في مظهره الخارجى وفي حركات اعضاءه وبمقارنة نصف جسمه الايمن بنصفه الايسر ندرک هذا التجانس : فالطفل يحرك - يده اليمنى بنفس السرعة والقوة والسهولة التى يحرك بها يده اليسرى .

هذا وقد دلت أبحاث ليدر (١) على ان تفضيل الطفل لاستخدام احدى يديه يبدأ من السنة الاولى من حياته ، وان عدد الذين يفضلون استخدام اليد اليسرى يكاد يساوى عدد الذين يستخدمون اليد اليمنى ، وخاصة فيما بين ستة اشهر وسنة من الميلاد ، ثم يختل هذا التوازن فيفضل اغلب الاطفال استخدام اليد اليمنى .

وقد بين جونز (٢) ان استخدام اليد اليمنى في مرحلة ما قبل المدرسة يتزايد بالتدرج مع تقدم الطفل فى السن ، غير ان بحوثه لم تثبت أو تنفى بطبيعة الحال عامل الوراثة أو عامل التعليم فى تفضيل استخدام احدى اليدين على الاخرى .

-
- (١) Ledere L.K. 1939 An ex Ploratory investigation of Handed Stotus in the first two years of life.
- (٢) Yones. H.E. 1951 Dextrality as o fonction of age journal of experiment al psychology.

ولقد تعرض بلادو للمحاولات التي يبذلها المدرسون بقصد تدريب
الاطفال على استخدام اليد اليمنى ، وهو يعتقد ان الاطفال يلجأون الى
العسر أحياناً كوسيلة لتسجيل مقاومتهم للضوابط الاجتماعية واليدوية
والانفعالية . ولا يرى أى خطر فى إعادة تعويد هؤلاء الاطفال على استخدام
اليد اليمنى ، ويؤكد على أهمية الطريقة التي يتم بها هذا التغيير وليس
التغيير فى حد ذاته .
